

دلائل الإعجاز

العامل في الأول كقولنا : جاءني زيدٌ وعمرٌ وورأيتُ زيداَ وعَمراً ومرتُ بزيدٍ وعمرٍ و .

والضربُ الثالث : تعلُّقه بمجموع الجُملةِ كتعلُّقِ حرفِ النفي والاستفهامِ والشرطِ والجَزاءِ بما يدخلُ عليه . وذلك أنَّ من شأنِ هذه المعاني أنْ تتناولَ ما تتناولهُ بالتَّقييدِ وبعد أنْ يُسندَ إلى شيءٍ . معنى ذلك أنك إذا قلتَ : ما خرج زيدٌ وما زيدٌ خارجٌ لم يكنِ النَّفيُّ الواقعُ بها مُتناوِلاً الخُروجَ على الإطلاقِ بلِ الخُروجُ واقعاً من زيدٍ ومُسنداً إليه . ولا يغربُ زكَ قولُنا في نحوِ : (لا رجلَ في الدارِ) أنها لنفيِ الجنسِ فإنَّ المعنى في ذلك أنَّها لنفيِ الكَيِّنةِ في الدَّارِ عنِ الجنسِ ولو كان يُتصوَّرُ تعلُّقُ النَّفيِّ بالاسمِ المفردِ لكان الذي قالوه في كلمةِ التَّوْحيدِ من أنَّ التقديرَ فيها " لا إلَهَ لنا أو في الوجودِ إلاَّ " فضلاً من القولِ وتقديراً لما لا يُحتاجُ إليه وكذلك الحُكْمُ أبداً .

فإذا قلتَ : هل خرجَ زيدٌ لم تكنْ قد استفهمتَ عنِ الخُروجِ مُطلقاً ولكنْ عنه واقعاً من زيدٍ . وإذا قلتَ : إنْ يأتيني زيدٌ أُكْرِمُهُ لم تكنْ جعلتَ الإتيانَ شرطاً بلِ الإتيانُ من زيدٍ . وكذا لم تجعلِ الإِكرامَ على الإطلاقِ جزاءً للإِتيانِ بلِ الإِكرامُ واقعاً منك . كيف وذلك يؤدِّسُ إلى أشنعِ ما يكونُ من المُحالِ وهو أنْ يكونَ هاهُنَا إتيانُ من غيرِ آتٍ وإِكرامُ من غيرِ مُكرِّمٍ ثم يكونُ هذا شرطاً وذلك جزاءً . ومختصراً كلَّ الأمرِ أنَّه لا يكونُ كلامٌ من جزءٍ واحدٍ وأنه لا بد من مسندٍ ومُسندٍ إليه وكذلك السَّبيلُ في كلِّ حرفٍ رأيتَهُ يدخلُ على جملةِ " كإنَّ " وأخواتِها . ألا ترى أنك إذا قلتَ : " كأنَّ " يَقتضي مُشيداً لهاً ومُشيداً لهاً بهِ كقولك : كأنَّ زيداَ الأسدَ . وكذلك إذا قلتَ : " لو " و " لولا " وجدَّتَهُما يقتضيانِ جُمليتينِ تكونُ الثانيةُ جواباً للأولى